
كان يا ما كان
الأخت وشقيقها
العجيب
CHIHAB Kids

كان يا ما كان...

الْأُخْتُ وَ شَقِيقُهَا الْعَجِيبُ



مقتبس عن حكايات الإخوة غريـم
رسوم : منصور عموري





كَانَ يَامَا كَانَ فِي قَدِيـمِ الزَّمَانِ، أُخْتٌ وَ أَخٌ يَعِيشَانِ بَعِيدًا فِي قُطْرٍ بَعِيدٍ مِنْ بِلاَدِ الشَّمَالِ. يَوْمًا، أَمْسَكَ الْأَخُ يَدَ أُخْتِهِ وَ قَالَ لَهَا : « مُنْذُ وَفَاةِ أُمِّنَا، وَ نَحْنُ فِي مَشَقَّةٍ وَ حُزْنٍ، فَزَوْجَةُ أَبِينَا تَضْرِبُنَا كُلَّ يَوْمٍ. كُلَّمَا اقْتَرَبْنَا مِنْهَا نَهَرَتْنَا وَ أَبْعَدَتْنَا. لَا نَجِدُ سِوَى الْخُبْزِ الْقَدِيـمِ قُوتًا لَنَا، فَالْكَلْبُ أَفْضَلُ مِنَّا. آهٍ لَوْ عَلِمَتْ أُمُّنَا بِذَلِكَ ! تَعَالِي نَرْحَلْ إِلَى الْعَالَمِ الْوَاسِعِ ». مَشَيَا طَوِيلاً عَبْرَ الْحُقُولِ وَ الْبَساتِينِ. فَجْأَةً نَزَلَ الْمَطَرُ فَقَالَتِ الْأُخْتُ بَاكِيَةً : « إِنَّ السَّمَاءَ وَ قَلْبَيْنَا يَبْكِيَانِ مَعًا ».

وَصَلَ الْأَخَوَانِ إِلَى غَابَةٍ كَبِيرَةٍ، وَ هُمَا مُنْهَمِكَانِ جَائِعَانِ، فَتَسَلَّلاَ إِلَى جَوْفِ جِذْعِ شَجَرَةٍ وَ نَامَا. اسْتَيْقَظَا صَبَاحًا وَ كَانَتِ الشَّمْسُ مُشْرِقَةً، فَأَدْفَأَتِ الْغَابَةَ. قَالَ الْأَخُ : « أَشْعُرُ بِعَطَشٍ شَدِيدٍ يَا أُخْتَاهُ، آهٍ لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ يُنْبُوعًا لَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ لِأَرْتَوِيَ ! أَظُنُّنِي سَمِعْتُ خَرِيرَ جَدْوَلٍ مِنْ هُنَا ». أَمْسَكَ أُخْتَهُ، وَ ذَهَبَا لِلْبَحْثِ عَنْهُ وَ لَمْ يَنْتَبِهْ أَحَدُهُمَا لِزَوْجَةِ أَبِيهِمَا الَّتِي تَبِعَتْهُمَا سِرًّا. كَانَتْ فِي الْحَقِيقَةِ سَاحِرَةً. وَ عِنْدَمَا سَمِعَتْهُمَا أَلْقَتْ سِحْرًا عَلَى كُلِّ يَنَابِيعِ الْغَابَةِ.

وَجَدَ الطِّفْلاَنِ يُنْبُوعًا رَقْرَاقًا. أَرَادَ الْأَخُ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهُ، لَكِنَّ الْأُخْتَ سَمِعَتْ صَوْتًا يُرَافِقُ خَرِيرَ الْمَاءِ يَقُولُ وَ يُرَدِّدُ : « مَنْ يَشْرَبْ مِنْ مَائِي يَتَحَوَّلْ نَمِرًا »، فَصَرَخَتْ : « أَخَاهُ، لَا تَشْرَبْ مِنْ هَذَا الْمَاءِ وَ إِلاَّ تَحَوَّلْتَ إِلَى حَيَوَانٍ مُفْتَرِسٍ وَ سَتَلْتَهِمُنِي ! » فَلَمْ يَشْرَبْ وَ قَالَ : « سَأَرْتَوِي مِنْ آخَرَ ! » وَ عِنْدَمَا وَصَلاَ إِلَى الْيُنْبُوعِ الثَّانِي، سَمِعَتِ الْأُخْتُ صَوْتًا يَقُولُ وَ يُكَرِّرُ : « مَنْ يَشْرَبْ مِنْ مَائِي يُصْبِحْ ذِئْبًا، مَنْ يَشْرَبْ مِنْ مَائِي يُصْبِحْ ذِئْبًا »، فَصَرَخَتْ مَرَّةً أُخْرَى : « أَرْجُوكَ يَا أَخِي، لَا تَشْرَبْ مِنْ هَذَا الْمَاءِ وَ إِلاَّ تَحَوَّلْتَ إِلَى ذِئْبٍ وَ سَتَأْكُلُنِي ! »

« حَسَنًا ! وَ لَكِنْ أُعْلِمُكِ بِأَنَّنِي لَمْ أَعُدْ أَقْدِرُ عَلَى الْعَطَشِ وَ سَأَشْرَبُ مِنَ الْيُنْبُوعِ اللاَّحِقِ. عِنْدَمَا أَدْرَكَا الْيُنْبُوعَ الثَّالِثِ، سَمِعَتِ الْأُخْتُ صَوْتًا يَقُولُ وَ يُرَدِّدُ : « مَنْ يَشْرَبْ مِنْ مَائِي، يَصِرْ أَيْلاً، مَنْ يَشْرَبْ مِنْ مَائِي، يَصِرْ أَيْلاً ». فَصَرَخَتْ فِي وَجْهِ أَخِيهَا : « أَخِي أَرْجُوكَ لَا تَشْرَبْ، وَ إِلاَّ أَصْبَحْتَ أَيْلاً وَ سَتَذْهَبُ بَعِيدًا عَنِّي ! »
فَلَمْ تُكْمِلْ كَلاَمَهَا حَتَّى شَرِبَ الْأَخُ مِنَ الْيُنْبُوعِ فَتَحَوَّلَ صُدْفَةً إِلَى أَيْلٍ صَغِيرٍ.





بَكَتِ الْأُخْتُ مُتَأَثِّرَةً بِمَا جَرَى لِأَخِيهَا وَ قَالَتْ لَهُ : « لاَ تَحْزَنْ يَا صَغِيرِي، لَنْ أَتَخَلَّى عَنْكَ أَبَدًا ! » وَ أَخَذَتْ عِقْدَهَا الذَّهَبِيَّ، وَ وَضَعَتْهُ حَوْلَ عُنُقِهِ، ثُمَّ قَطَفَتْ أَغْصَانَ النَّرْجِسِ وَ صَنَعَتْ مِنْهَا حَبْلاً رَقِيقًا، رَبَطَتْهُ بِهِ وَ وَاصَلاَ طَرِيقَهُمَا فِي الْغَابَةِ الْكَثِيفَةِ. ظَلاَّ يَمْشِيَانِ طَوِيلاً إِلَى أَنْ وَصَلاَ إِلَى مَنْزِلٍ صَغِيرٍ. فَأَلْقَتْ نَظْرَةً مِنَ النَّافِذَةِ، فَوَجَدَتْهُ فَارِغًا، فَقَالَتْ : « يُمْكِنُنَا الْعَيْشُ هُنَا ! »

جَمَعَتِ الْأُخْتُ أَوْرَاقَ الْأَشْجَارِ وَ الطَّحَالِبَ، وَ هَيَّأَتْ مَكَانًا نَاعِمًا لِلْأَيْلِ الصَّغِيرِ. كَانَتْ كُلَّ صَبَاحٍ تَجْمَعُ جُذُورَ النَّبَاتَاتِ وَ حَبَّاتِ الْجَوْزِ لِتَقْتَاتَ بِهَا، أَمَّا لِأَخِيهَا فَكَانَتْ تُقَدِّمُ لَهُ الْحَشِيشَ اللَّيِّنَ يَأْكُلُهُ مِنْ يَدِهَا مَبْسُوطًا مَرِحًا. أَمَّا فِي الْمَسَاءِ، فَكَانَتْ تَدْعُو ثُمَّ تَذْهَبُ لِتَسْتَرِيحَ قُرْبَ الْأَيْلِ الصَّغِيرِ، فَتَضَعُ رَأْسَهَا عَلَى ظَهْرِهِ وَ تَنَامُ فِي سَلاَمٍ.. كَانَ فَرِحًا بِرُفْقَتِهَا. كَادَتْ أَنْ تَكُونَ حَيَاتُهُمَا رَائِعَةً لَوْ تَخَلَّصَ الْأَخُ مِنْ لَعْنَةِ السَّاحِرَةِ وَ عَادَ إِلَى مَظْهَرِهِ الطَّبِيعِيِّ.

عَاشَ الْأَخَوَانِ وَحِيدَيْنِ زَمَنًا طَوِيلاً، حَتَّى جَاءَ الْيَوْمُ الَّذِي أَعْلَنَ فِيهِ الْـمَلِكُ عَنْ رِحْلَةِ صَيْدٍ فِي الْغَابَةِ. فَسَمِعَا صَوْتَ الْبُوقِ، وَ نُبَاحَ الْكِلاَبِ، وَ ضِحْكَاتِ الصَّيَّادِينَ، فَقَالَ الْأَيْلُ لِأُخْتِهِ مُصِرًّا : « أَرْجُوكِ أُخْتَاهُ.. دَعِينِي أَذْهَبْ إِلَى الصَّيْدِ ! » فَوَافَقَتْ مُنَبِّهَةً : « لَكِنْ لاَ تَتَأَخَّرْ فِي الْعَوْدَةِ. سَأُغْلِقُ الْبَابَ وَ عِنْدَمَا تَعُودُ، اُطْرُقْ وَ قُلْ : « اِفْتَحِي الْبَابَ يَا أُخْتَاهُ ! » فَانْطَلَقَ الْأَيْلُ يَرْكُضُ فَرِحًا.



رَأَى الْـمَلِكُ وَ مَنْ مَعَهُ الْأَيْلَ فَطَارَدُوهُ، وَ لَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنْهُ، إِذْ كَانَ يَقْفِزُ بَيْنَ الْأَحْرَاشِ. عِنْدَمَا حَلَّ الْـمَسَاءُ، أَسْرَعَ إِلَى الْـمَنْزِلِ وَ طَرَقَ الْبَابَ قَائِلاً : « اِفْتَحِي الْبَابَ يَا أُخْتَاهُ ! » فَتَحَتْ لَهُ فَدَخَلَ وَ اسْتَرَاحَ عَلَى فِرَاشِهِ النَّاعِمِ.

وَ فِي الصَّبَاحِ التَّالِي، سَمِعَ الْأَيْلُ الصَّغِيرُ صَوْتَ بُوقِ الصَّيْدِ وَ صِيَاحَ الصَّيَّادِينَ، فَلَمْ يُقَاوِمْ رَغْبَتَهُ فِي الْـخُرُوجِ فَقَالَ لِأُخْتِهِ : « اِفْتَحِي الْبَابَ يَا أُخْتَاهُ وَ دَعِينِي أَخْرُجْ ! » فَتَحَتْ لَهُ قَائِلَةً : « لَكِنْ يَجِبُ أَنْ تَعُودَ فِي الْـمَسَاءِ وَ تُكَرِّرَ مَا قُلْتَهُ الْبَارِحَةَ نَفْسَهُ ! »





عِنْدَمَا رَأَوْهُ، لاَحَقُوهُ مُجَدَّدًا طَوالَ الْيَوْمِ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ أَكْثَرَ رَشَاقَةً وَ سُرْعَةً. لَكِنْ فِي الْـمَسَاءِ، تَـمَكَّنُوا مِنْ إِصَابَةِ سَاقِهِ، فَأَخَذَ يَتَأَرْجَحُ مُتَأَثِّرًا بِجُرُوحِهِ. حَزِنَتِ الْأُخْتُ لِرُؤْيَتِهِ، فَمَسَحَتِ الدَّمَ عَنْ سَاقِهِ، وَ وَضَعَتْ أَعْشَابًا عَلَى الْجُرْحِ وَ قَالَتْ لَهُ : « اذْهَبْ لِتَنَامَ يَا صَغِيرِي، سَتَتَعَافَى قَرِيبًا ». طَلَعَ الصَّبَاحُ، فَتَعَافَى الْأَيْلُ وَ عِنْدَمَا سَمِعَ صَوْتَ الصَّيَّادِينَ مِنْ جَدِيدٍ، قَالَ : « لاَ يُـمْكِنُنِي الْبَقَاءُ هُنَا، يَجِبُ أَنْ أَخْرُجَ ! » بَكَتِ الْأُخْتُ وَ هِيَ تُرَدِّدُ : « سَيَقْتُلُونَكَ وَ أَبْقَى وَحِيدَةً، لَنْ أَتْرُكَكَ تَخْرُجُ ! » فَأَجَابَهَا : « سَأَمُوتُ حُزْنًا، إِذًا ! » لَمْ تَتَمَكَّنْ مِنْ مَنْعِهِ، فَفَتَحَتْ لَهُ الْبَابَ وَ قَلْبُهَا يَنْفَطِرُ حُزْنًا، فَرَكَضَ الْأَيْلُ نَحْوَ الْغَابَةِ. رَآهُ الْـمَلِكُ مُجَدَّدًا، فَأَمَرَ صَيَّادِيهِ قَائِلاً : « اِتْبَعُوهُ بِلاَ هَوَادَةٍ، وَ لاَ تُؤْذُوهُ، أُرِيدُهُ حَيًّا ! »

لاَحَقُوهُ إِلَى الْكُوخِ وَ عَادَ أَحَدُ الصَّيَّادِينَ وَ حَكَى لِلْمَلِكِ مَا رَأَى وَ سَمِعَ. وَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، طَرَقَ الْبَابَ وَ قَالَ : « افْتَحِي الْبَابَ يَا أُخْتَاهُ ». فُتِحَ الْبَابُ، وَ دَخَلَ الْـمَلِكُ، فَرَأَى فَتَاةً لَمْ يَرَ لِجَمَالِهَا مَثِيلاً. فَزِعَتِ الْفَتَاةُ عِنْدَمَا رَأَتْ رَجُلاً يَدْخُلُ وَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ. لَكِنَّ الْـمَلِكَ كَانَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا بِلُطْفٍ، وَ قَالَ لَهَا : « لاَ تَخَافِي وَ اهْدَئِي !.. » ثُمَّ أَضَافَ : « أَتُرِيدِينَ الذَّهَابَ مَعِي إِلَى الْقَصْرِ وَ تُصْبِحِينَ زَوْجَتِي ؟ » فَأَجَابَتِ الْفَتَاةُ : « نَعَمْ، نَعَمْ، عَلَى شَرْطِ أَنْ يَعِيشَ الْأَيْلُ مَعِي، لَنْ أَتَخَلَّى عَنْهُ أَبَدًا ! » فَقَالَ الْـمَلِكُ : « سَيَبْقَى مَعَكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ وَ لَنْ يَنْقُصَهُ شَيْءٌ ».

فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ، قَدِمَ الأَيْلُ فَثَبَّتَتِ الْحَبْلَ فِي عُنُقِهِ وَ أَمْسَكَتْهُ بِيَدِهَا، وَ غَادَرَ الْجَمِيعُ الْمَنْزِلَ. أَخَذَ الْمَلِكُ الْفَتَاةَ عَلَى حِصَانِهِ إِلَى الْقَصْرِ وَ تَمَّ حَفْلُ الزِّفَافِ. فَأَصْبَحَتِ الْأُخْتُ مَلِكَةً، وَ كَانَ بِإِمْكَانِ الأَيْلِ اللَّعِبُ فِي حَدِيقَةِ الْقَصْرِ وَ عَاشُوا جَمِيعًا فِي سَعَادَةٍ سِنِينَ. أَرَادَتْ زَوْجَةُ أَبِيهَا مُنْذُ أَنْ عَلِمَتِ الْحَقِيقَةَ أَنْ تُحَطِّمَ حَيَاةَ الأَخَوَيْنِ ثَانِيَةً. كَانَتِ ابْنَتُهَا الْقَبِيحَةُ الْعَوْرَاءُ لاَ تَتَوَقَّفُ عَنْ لَوْمِ أُمِّهَا قَائِلَةً مِنْ شِدَّةِ غِيرَتِهَا : « أَنَا الَّتِي تَسْتَحِقُّ أَنْ تَكُونَ مَلِكَةً ».



بِمُرُورِ الزَّمَنِ، أَنْجَبَتِ الْمَلِكَةُ طِفْلاً جَمِيلاً، فَاغْتَنَمَتِ السَّاحِرَةُ الشِّرِّيرَةُ غِيَابَ الْمَلِكِ، فَتَسَلَّلَتْ إِلَى غُرْفَةِ الْمَلِكَةِ، وَ قَالَتْ لَهَا : « لَقَدْ حَضَّرْتُ لَكِ الْحَمَّامَ، إِنَّهُ مُفِيدٌ جِدًّا وَ سَتَسْتَرِدِّينَ عَافِيَتَكِ ». حَمَلَتِ الْعَجُوزُ الشِّرِّيرَةُ الْمَلِكَةَ الضَّعِيفَةَ، وَ وَضَعَتْهَا فِي حَوْضِ الْحَمَّامِ وَ أَشْعَلَتِ النَّارَ ثُمَّ أَقْفَلَتِ الْبَابَ بِالْمِفْتَاحِ. حِينَئِذٍ أَخَذَتِ ابْنَتُهَا الْعَوْرَاءُ مَكَانَ الْمَلِكَةِ، وَ وَضَعَتِ التَّاجَ الْمَلَكِيَّ عَلَى رَأْسِهَا. ثُمَّ تَمَدَّدَتْ عَلَى السَّرِيرِ لِتُخْفِيَ عَيْبَ وَجْهِهَا. عِنْدَمَا عَادَ الْمَلِكُ مَسَاءً، عَلِمَ أَنَّ زَوْجَتَهُ أَنْجَبَتْ طِفْلاً، فَفَرِحَ كَثِيرًا وَ أَرَادَ الاطْمِئْنَانَ عَلَى زَوْجَتِهِ الْعَزِيزَةِ.





لَكِنَّ السَّاحِرَةَ صَرَخَتْ فِي وَجْهِهِ قَائِلَةً : « لاَتَرْفَعِ السَّتَائِرَ، لاَ يَجِبُ أَنْ تَرَى الْـمَلِكَةُ الضَّوْءَ، عَلَيْهَا أَنْ تَرْتَاحَ ! » فَابْتَعَدَ الْـمَلِكُ وَ لَمْ يَعْلَمْ بِالْـمَكِيدَةِ. وَ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ، كَانَتِ الْـمَلِكَةُ الْحَقِيقِيَّةُ تَدْخُلُ الْغُرْفَةَ، وَ تَحْمِلُ الطِّفْلَ لِتُرْضِعَهُ مِنْ صَدْرِهَا، ثُمَّ تَضَعُهُ فِي مَهْدِهِ وَ تُغَطِّيهِ. تَقْتَرِبُ مِنَ الأَيْلِ.. تَلْمَسُهُ ثُمَّ تَخْتَفِي. صَارَتِ الْـمَلِكَةُ تَأْتِي كُلَّ لَيْلَةٍ. كَانَتِ الْـمُرَبِّيَةُ تَرَاهَا وَ لَمْ تَبُحْ لأَحَدٍ. وَ بَعْدَ فَتْرَةٍ، نَطَقَتْ مُرَدِّدَةً : « كَيْفَ سَيَكُونُ مَصِيرُ ابْنِي ؟ كَيْفَ سَيَكُونُ مَصِيرُ أَيْلِي الصَّغِيرِ ؟! سَأَعُودُ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَنْ أَعُودَ أَبَدًا ».

أَسْرَعَتِ الْـمُرَبِّيَةُ إِلَى الْـمَلِكِ وَ أَخْبَرَتْهُ بِكُلِّ شَيْءٍ. قَرَّرَ أَنْ يَسْهَرَ فِي اللَّيْلَةِ الْـمُقْبِلَةِ أَمَامَ الطِّفْلِ، لِيَتَحَقَّقَ بِنَفْسِهِ. وَ فِي الْـمَسَاءِ، ظَهَرَتِ الْـمَلِكَةُ مِنْ جَدِيدٍ. لَمْ يَجْرُؤِ الْـمَلِكُ عَلَى التَّكَلُّمِ مَعَهَا. سَهِرَ مُجَدَّدًا وَ اتَّجَهَ إِلَيْهَا قَائِلاً : « لاَ بُدَّ أَنَّكِ زَوْجَتِي الْعَزِيزَةُ ». فَأَجَابَتْ : « نَعَمْ أَنَا هِيَ زَوْجَتُكَ الْـمَحْبُوبَةُ »، فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ وَ بِالْقُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ عَادَتْ إِلَيْهَا الْحَيَاةُ.


رَوَتْ لِلْمَلِكِ قِصَّتَهَا وَ قِصَّةَ أَخِيهَا الْأَيْلِ
وَ أَطْلَعَتْهُ عَلَى الْجَرِيمَةِ الَّتِي ارْتَكَبَتْهَا
السَّاحِرَةُ الشِّرِّيرَةُ وَ ابْنَتُهَا فِي حَقِّهَا. فَعَرَضَهُمَا
الْمَلِكُ عَلَى الْمَحْكَمَةِ الَّتِي أَمَرَتْ بِأَخْذِ الابْنَةِ إِلَى الْغَابَةِ
حَيْثُ الْتَهَمَتْهَا الْحَيَوَانَاتُ الشَّرِسَةُ. أَمَّا السَّاحِرَةُ فَقَدْ أُلْقِيَ
بِهَا فِي النَّارِ وَ احْتَرَقَتْ عَنْ كَامِلِهَا. عِنْدَمَا لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا الرَّمَادُ
اسْتَعَادَ الْأَيْلُ الصَّغِيرُ مَنْظَرَهُ الْبَشَرِيَّ، وَ عَاشَ الْأَخَوَانِ فِي سَعَادَةٍ وَ هَنَاءٍ.